Archive of SID

فنّ المقامات، النّشأة والتطوّر؛ دراسة وتحليل

محمّدهادی مرادی *

الملخص

المقامة من الألوان الأدبيّة، والفنون النثرية الّتی ظهرت فی القرن الرابع للهجرة، وازدهرت فی عصر الانحطاط. يحاول هذا المقال إلقاء ضوء على جوانب هذا النوع الأدبی: التعريف به، ونشأته، وتطوّره، وأعلامه، وملامحه، وجذوره، ومناقشة الآراء فی نشأته، ومناقشة رأی «ملک الشعراء بهار» فی وجه تسميته، وأغراضه، وتأثّر الأدباء من العرب والإيرانيّين بمقامات البديع، وعلمه الفذ، وأخيرا يدرس المقامات الفارسيّة، والمقامات العربيّة الحديثة.

الكلماتالدليلية: المقامة، القصّة القصيرة، بديع الزّمان.

*. عضو هيأة التدريس بجامعة العلامة الطباطبايی.

تاريخ الوصول: ۱۳۸۸/٦/۱۲هـ . ش تاريخ القبول: ۱۳۸۸/۱۰/۱۸هـ . ش

www.SID.ir

Archive of SID

المقدمة

المقامة ـ كفّن من فنون النثر العربی ـ ظهر فی القرن الرابع الهجری، وازدهر فی عصر الانحطاط. وهی شبه قصّة قصیرة مسجوعة فی أغلب الأحیان تتضمّن مُلَحاً، ونوادر، وعِظاتٍ؛ کان الأدباء یتبارون فیها إظهاراً لبراعتهم اللّغویة، والأدبیّة.

یمتاز هذا الفنّ بأسلوب سردیّ حکائیّ خاصٍّ فی بیان غرضه، وخطابه، وهدفه.

وقد عرّف «القلقشندی» المقامات فقال: «وهی جمع مَقَامَة[1] بفتح المیم، وهی فی أصل اللّغة اسم للمجلس، والجماعة من الناس. وسمّیت الأُحدوثة من الکلام مَقَامَةً کأنّها تُذکر فی مجلس واحدٍ یجتمع فیه الجماعة من النّاس لسماعها.» (القلقشندی، لاتا: ۱۲۴)

إذن هی أحدوثة أو حکایة أو قصّة قصیرة تعتمد ـ ولا شک ـ فی أغلب أحداثها علی‌الخیال، لا علی الحقیقة. وهی تعتمد علی راوٍ، وبطلٍ محوریّ، وشخصیّات هامشیّة، وأغلبها شخصیّات خیالیّة وهمّیة غیر حقیقیّة. وهی تختلف من حیث الحجمُ فتارة لاتبلغ حدّ الخبر القصیر الموجز، وتارة تبلغ حدّ القصّة أو الحکایة القصیرة. کما تختلف أیضاً من حیث الموضوعُ، فتری البعض منها یتناول قضایا الفساد ـ کفساد الحکّام أو القضاة أو رجال الدّولة، وما إلی ذلک من شخصیّات سیاسیّة، واجتماعیّة ـ والبعض الآخر یتطرّق إلی الوعظ، والإرشاد.

کما تتّسم تارة بطابعٍ أدبّی ساخرٍ فاخرٍ لاذعٍ، وتارة بسمةٍ فکاهیّة سخیفة تافهة.

والمقامات ـ عادة ـ تنطوی علی آیات قرآنیّة کریمة، وأحادیث نبویّة شریفة، وأمثال وحِکَم. وتنتظم فی مفردات غریبة قلّ استعمالها أو اندثرت. فهی بحقّ تعتبر ثروة لغویّة، ومادّة أدبیّة دَسِمَةً.

تبدأ المقامات ـ عادة ـ بحدیث الراوی فیقال فی أوّلها:

حدّثنا فلان ... ویسرد الراوی فی حدیثه حکایة البطل المحوریّ الّذی یمتاز فی أغلب

۱. المقامة لغة: المجلس، والجماعة من النّاس. ومقامات النّاس: مجالسهم. قال العبّاس ابن مِرداس:

فأیّی وما أیُّک کان شرّاً فقیدَ إلی المقامة لا یراها

لسان العرب ـ قوم

www.SID.ir

Archive of SID

الأحايين بذكائه الحادّ ونضوجه الأدبيّ، وحنكته فی تجارب الحياة، ولسانه الذرِب الّذی يفتن السامعين، وشخصيّته الماكرة الخادعة الّتی لا تنكشف إلّا فی نهاية المقامة.

والمقامة ـ كما ذكرنا ـ حكاية قصيرة، فهی إذن لها بداية، ولها نهاية، وفيها شخوص محوريّة، وهامشيّة، ولها بُعدٌ مكانیّ، وهكذا زمانیّ، وفيها عقدة تنعقد، وتتأزّم، وحلّ، وهو النّهاية[1].

وتمتاز بالسّرد، والحوار، والأسلوب الحكائی، والوصف الّذی يلعب دورا بارزا فی وصف المكان، والزمان، والشخوص الّتی يصفها تارة من الخارج، فيصف ملامِحَها، وصورها، وأشكالَها، وألوانها، وتارة وصفا داخليّا يغور فی أعماق نفوسها.

كما نشاهد فيها ما يعرف ـ أدبيّا ـ بـ «التناصّ» فكم نری فيها وجه الشبه بينها، وبين آیِ الذكر الحكيم.

ومع أنّها فنّ نثری يعود إلی نوع السرد، والحكاية، لكنّها تقترب فی فنّها الأدبیّ من الشعر، وقوانينه، وميزاته. وخاصّة عند استخدامها الأسجاع سواء المتساوية الفقرات منها أو المختلفة، وسواء المتّحدة الأحرف أو المختلفة.

كما تشترک مع الشعر فی استخدام البيان بأركانه المختلفة، والبدائع، ومحسّناته اللفظية، والمعنويّة.

تمتاز المقامات من حيث الموضوع، والمضمون أيضا بحيلة أو حِيَل يلجأ إليها البطل للإثارة، وغالبا ما يبتلی بهذه الحيل شخوص المقامات، وخاصّة الراوی الّذی ينخدع، ولا يتكشّف له الأمر إلاّ فی نهايات المقامة.

وكما أشرنا اختلفت الآراء فی معنی المقامة. فالبعض يری أنّها بمعنی المجلس، والمحفل، والقبيلة، ويستشهد بهذا البيت لزُهير بن أبی سُلمی المُزنی:

وفيهم مقامات حِسانٌ وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل

(زهير، ۱۹۹۵م: ۷۶)

۱. وهذا ماحدا البعض بأن جعلها قصّة تتوفّر فيها العناصر القصصيّة.

www.SID.ir

Archive of SID

وهكذا ببيت سلامة بن جندل:

يومان: يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

(ياغی، ۱۹۶۹م: ۳۶)

وكلاهما استخدم المقامة بمعنى النادی. (المصدر السابق: ۳۷)

ويرى البعض أنّ المقامة قداستخدمت فی العصور الإسلاميّة الأولی بمعنی: الكلام الّذی يُلقيها القائل، وهو واقف، وهكذا كانت تطلق المجالس أيضاً ـ كالمقامات ـ على مجموعة الكلمات الّتی يُلقيها الأديب فی المجلس.

إلّا أنّنا نری أن «ملک الشعراء بهار» فی كتابه القيّم «سبک شناسی» يعتبر المقامة تعريبا أو ترجمة من «گاه» أو «گاثه» ويربطها بالمقامات الموسيقيّة. وهو يقول: «يقال: المقامة: المجلس أو الجماعة من الناس أو الخطبة أو العِظة أو الرّواية الّتی تلقی فی مجتمع النّاس.» (بهار، ۱۳۶۶ش، ج۲: ۳۲۵)

وهو يقول فی هامش نفس الصفحة: «ولكنّ الرأی المرجّح هو أن المقامة ترجمة لـ «گاثه» أو «كاس» أو «گاه». (المصدر السابق: ۳۲۵)

وممّا يجدر بالذكر أنّ العرب فی الجاهليّة أو بعدها كانوا يخطبون، وهم واقفون أو يعتلون منصّةً متّكئين على العِصِیّ، والعيدان. ولايستبعد أن يكون لهذا ـ بشكل أو بآخر ـ أثرٌ فی المقامات. إذ نری أن الكثير من أبطال قصص المقامات يحملون هذه العِصِیَّ، والهِراوات[۱] ويطرقون بها على الأرض للإثارة، وهو ما نراه ـ على سبيل المثال ـ فی المقامة «المكفوفيّة» من مقامات بديع الزمان الهمدانی: « ... وإذا هناک قوم مجتمعون على رجل يستمعون إليه، وهو يخبط الأرضَ بعصاً على إيقاع لا يختلف، وعلمت أنّ مع الإيقاع لحناً.» (عبده، ۱۹۹۳م: ۴۲)

كما نری تستخدم المقامة فی مجالس الحكّام، والخلفاء كوسيلة لإبداء النّصح، والموعظة، وهو ما نراه فی كتاب «الزهد»، وهو قسم من كتاب «عيون الأخبار» لـ «ابن

۱. الهِراوة ج: هَراوَی وهُرِیّ وهِرِیّ: العصا الضّخمة.

www.SID.ir

Archive of SID

قتيبة الدينورى» فنجد عناوين كمقام صالح بن عبدالجليل بين يدى المهدى، ومقام رجل من الزهاد بين يدى سليمان و... .

ولا شک أنّ النقاد، وكتاب الأدب، اختلفوا فى من بدأ باستخدامها فى معناها الاصطلاحى، رغم إجماعهم على أنّ بديع الزمان الهمدانى هو أوّل من أصّل هذا الفن النثرى الفاخر، وأرسى قواعده. ولكنّ البعض يرى أنّ بديع الزمان قد تأثّر بأحاديث «ابن دريد» اللغوى (؟ ـ ٣٢١ ق) ولابدّ من الإشارة إلى نكتة، وهى أوّلاً: أنّنا لم يصلنا إلى يومنا هذا شىء من «أحاديث» ابن دريد. ثانياً: أطلقوا على مُؤَلَّف ابن دريد «الأحاديث»، والاحتمال الراجح هو أنّ هذه «الأحاديث» كانت تختلف عن المقامات. وها نحن نرى الحريرى، وهو يؤكّد فى مقاماته قائلا: «... المقامات الّتى ابتدعها بديع الزمان، وعلّامة همذان... مقامات أتلو فيها تِلو البديع. إنّ البديع ـ رحمه الله ـ سبّاق غايات، وصاحب آيات.» (ياغى، ١٩٦٩م: ٥٧)

وحقّا أنّ مقامات بديع الزمان كانت النموذج الأمثل لمن كتبوا المقامات بعده، سواء المتقدّمون منهم أو المتأخرون. فقد حاكاه الحريرى فى مقاماته، وخطى إثره، وانتهج نهجه. وهكذا من المتأخرين نرى «أحمد فارس الشّدياق» صاحب «الساق على الساق» قد سار على نفس النّهج فدوّن مقاماته، وكما نرى فى الفارسيّة «الحميدى» تبع فى مقاماته، مقامات بديع‌الزمان شكلا، وموضوعا.

ولكن لا يُستبعد تأثّر الهمدانى فى مقاماته بماسبقه من فنون نثريّة سرديّة حكائيّة كقصص «ألف ليلة وليلة» التى كانت معروفة فى القرن التاسع للميلاد[1].

وأيضا لا يستبعد أن يكون بديع الزمان متأثّرا بـ «ابن المقفّع» الّذى ترجم كتاب «كليلة ودمنة» حيث يمتاز بأسلوبه القصصى الرائع، والهادف، وهو ما نراه أيضا فى المقامات، وإن خالف البعض الرأىَ القائلَ بأن للمقامات أهدافا، وغايات أخلاقيّة ـ تعليميّة.

١. «ألف ليلة وليلة» أشهر كتاب فى القصص الشعبى عند العرب. ووردت أقدم الإشارات إليه فى القرن التاسع للميلاد. وبعد ذلک بفترة يسيرة تحدّث المسعودى (؟ ـ ١٩٧٥م) عن كتاب فارسى اسمه «هزار ويک شب» أو «هزار افسانه»، وقال: إنّ النّاس يسمّون هذا الكتاب «ألف ليلة وليلة». منير البعلبكى: موسوعة المورد.

www.SID.ir

Archive of SID

ولو عدنا إلى الحديث عن المقامات ـ كفن قصصی روائی ـ بعامّة ـ وإلى مقامات بديع الزمان ـ خاصّة ـ لوجدنا أنّ البطل الأصلی فی مقاماته هو «أبو الفتح الأسكندری» وله راوٍ باسم «عيسى بن هشام القمی» الّذی يتابع حركات، وسكنات هذا البطل، ويسرد كلّ أعماله، وتصرّفاته. ذاک البطل الّذی يتلوّن بجميع الألوان، ويستخدم كلّ الحيل، والطرق الملتوية ليكسب مالاً أو يدّخره. فهو نموذج للبهلوان الّذی يستخدم جميع الطرق البهلوانيّة، ويتمسّح بجميع الشخوص السياسيّة أو الدينيّة أو الاجتماعيّة. فتارة نراه خطيبا فی القرية، ومعتليا منبر مسجدها، وتارة نراه مغنّيا مطربا يرتاد الحانات، والخمارات. (الهمدانی، ۱۹۸۷م: المقامة الخمريّة) وتارة نراه يرتدی الملابس العسكريّة، ويمتشق سيفه كقائد عسكری، يدعو الناس إلى الجهاد بتقديم المال لدعم الجيوش. (المصدر السابق: المقامة القزوينيّة) وتارة نراه مهرّجا مربّيا للقرود (المصدر السابق: المقامة القرديّة) وتارة نراه يدّعی إحياء الموتى، وعلاج الأمراض المستعصية. (المصدر السابق: المقامة الموصليّة) وأحيانا تراه فی صورة أعمى، وبيده معلّقة عليها الأجراس يطلی بحيله على الناس مستخدما الشعر، والغناء فيكسب المال مكرا، وحيلة. (المصدر السابق: المقامة المكفوفيّة)

ورغم أنّ مقامات البديع تبدأ، وتنتهی بصورة مكررة، وربّما تبدو للوهلة الأولى بأنّها تثير ملل القارىء، إلاّ أنّ الأحداث المتنوّعة، والشخوص المتعدّدة تخرج هذا المقامات من الـ «سيمتريّة» (= الرتابة) وتضفی علىالقصص طابع الجدّة، والإثارة.

وهكذا الوصف الّذی يستخدمه الكاتب لشخوصه، وأبطاله بل للزمان، والمكان. ولو اتخذنا مثلا المقامة «الحلوانيّة» أنموذجا لبراعة الكاتب فی الوصف، لوجدنا الراوی يحدّثنا عن الحمّام، والعاملين فيه ومنهم بطل مقاماته «أبو الفتح الأسكندری» الّذی يمتهن مهنة الحجامة، ويتصف بثرثرته الّتی تذكّرنا بقصّة الحلاّق الثرثار المعروفة فی الأدب العربیّ الحديث.

وكما تذكّرنا بقصّة الدلاّک الساكت فی قصص «ألف ليلة وليلة» فترى الحجّام فی هذه القصّة، وهو يختلق الأحاديث، ويتذرّع بجميع الحيل، والمكائد ليطلی على مستمعيه أكاذيبه الّتی يطليها بحلو الكلام وبما سمعه، وقرأه من أشعار، وأمثال. كما نرى أنّ هذا

www.SID.ir

Archive of SID

البطل فی المقامة الشامیة فی صورة الماجن الوقِح الّذی لایتورّع عن ذکر المسائل الجنسیّة السافرة الّتی تنبو عنها النفس، وتشمئزّ منها الروح بکلماته البذیئة الرکیکة.

وهکذا نری البدیع، وهو یبدع فی وصف شخوصه، وخاصّة ذاک البزاز الّذی أتی علی لسانه وصفا جمیلا لطبقة البزّازین باعة الأقمشة، وحیاتهم الاجتماعیّة، وبیئتهم، ومنازلهم، وألبستهم مع وصف داخلیّ دقیق جمیل لنفسیّاتهم الّتی تنطوی علی حبّ النفس، والشطارة، وما إلی ذلک من صفات یمتازبها.

ویمکننا القول إنّ هذه المقامة من أفضل المقامات الّتی دوّنها بدیع الزمان. وربّما لهذا السّبب نری الحمیدیّ قد قلّدها فی جمیع خطواتها ـ خطوة خطوة ـ فی مقامته «السکباجیّة». وحقّا أنّ هاتین المقامتین تحتاجان إلی دراسةٍ أدبیّة مقارنة. إذ أبدع الکاتبان سواء الهمدانی الّذی ابتکرها، وأبدع فیها وسواء الحمیدی الّذی قلّده فیها بمهارة، وإبداع خارقین.

وبما أنّنا تطرّقنا ـ وبشکل عابرٍ ـ إلی التّأثیر، والتّأثر بین الهمدانی فی مقاماته، ومن سبقوه مثل ابن المقفّع فی کلیلة ودمنة، وألف لیلة ولیلة، نقول: إنّه لا یستبعد أن یکون الهمدانی تأثّر بأسلوب «الجاحظ»، وفنّه النثری الساخر، وخاصّة فی کتابه «البخلاء» الّذی یعدّ أوّل کتاب تطرّق إلی البخلاء، وخاصّة الشحاذین منهم مثل حدیثه عن «خالدبن یزید».

أمّا بالنسبة للجانب الموضوعی، والغرض الّذی کان یهدف إلیه بدیع الزمان، وخطابه الّذی وجّهه إلی قُرّائه فلا شک فی أنّ هذه المقامات تنتظم فی قصص متعدّدة تنطوی علی أغراضٍ، وأهداف نقدیّة اجتماعیّة بنّاءة. فهی تُلقی الأضواء علی الأوضاع الاجتماعیّة السائدة فی المجتمع آنذاک.

لکنّها نظرات ربّما نخالفها فی بعض المواقف، وخاصّة فی جوانبها الانتهازیّة الّتی یدعو فیها إلی اغتنام الفرصة، واهتبال الوضع، والوقت للاستفادة من الظروف المؤاتیة، وإن کان بطرق ملتویة، وربّما لم یکن یقصد بها بل بضدّها، وبما یخالفها فکأنّه یؤکّد علیها، ویمیط اللثّام عنها لتشمئزّ النفوس الأبیّة منها.

www.SID.ir

Archive of SID

وقد تمثّل هذا النقد الاجتماعی بصورة بديعة، ورائعة فی المقامة «المَضيريّة» الّتی تناول فيها بالنقد حياة «حديثی النعمة» الّتی تتّصف بالانتهازيّة، والنرجسيّة، والتذبذب، والوقاحة، والثرثرة، والإدّعاء، والكذب، والحسد، والعُقَد، وما إلی ذلک من صفات تطفو علی السطح عند هؤلاء الوضيعين الّذين نسوا ماضيهم فتعالَوا علی طبقتهم الّتی كانوا منها قبل قليل، والطّبقة المطحونة الفقيرة.

ونأتی هنا ـ كأنموذج ـ بقسم من المقامة المَضيريّة: «دعانی بعض التجار إلی مَضيرة، وأنا ببغداد، ولزمنی ملازمة الغريم. والكلب لأصحاب الرّقيم[1]. إلی أن أجبته إليها، وقمنا فجعل طول الطريق يثنی علی زوجته، ويفديها بمُهجته، ويصف حذقها فی صنعتها، وتأنّقها فی طبخها، ويقول: يا مولای لو رأيتها، والخِرقة[2] فی وسطها، وهی تدور فی الدّور من التنّور إلی القُدور، ومن القُدور إلی التنّور، تنفُث بفيها النّار، وتدقّ بيديها الأبزار[3] ولو رأيت الدّخان، وقد غبّر فی ذلک الوجه الجميل، وأثّر فی ذلک الخدّ الصقيل، لرأيت منظراً تحار فيه العيون، وأنا أعشقها لأنّها تعشقنی.

ومن سعادة المرء أن يرزق المساعدة من حليلته، وأن يسعد بظعينته[4] ولا سيّما إذا كانت من طينته[5] وهی ابنة عمی لحّاً[6]. طينتها طينتی، ومدينتها مدينتی، وأرومتها أرومتی. لكنّها أوسع خُلقاً، وأحسن خَلقاً.»

لقد تأثّرالأدباء بعد بديع الزّمان بمقاماته فحاكوه، وقلّدوه فی كتابتها من العرب والإيرانيّين. فمن المقامات العربيّة:

١ـ مقامات ابن الناقيا (۴١۶ ـ ۴٨۵ ق) البغدادی الأصل. يقال إنّه كان سريانيّا أو أرمينيّاً، وكان يقول بمذهب «التعطيل»[7] وهو يحاول فی مقاماته أن يأتی بعبارات رائعة

١. الرقيم: أصحاب الكهف، وكانوا سبعة، وثامنهم كلبهم ولم يفارقهم.
٢. الخِرقة: ما يضعه الطاهی علی صدره تقيّة للدّهن، ورشاش الطعام، وهی ما يُسمّی بالمَرْيَلة (= المَريول ـ الفوطة).
٣. الأبزار: ما يوضع علی الطعام لتطيب نكهتها كالفلفل، والقرنفل.
۴. المرأة ما دامت فی الهود ج، والمراد هنا المرأة مطلقاً.
۵. الطينة: المنبت. أی أنّ كليهما مشترک فی المنبت.
۶. لحّاً: قرابة متّصلة.
٧. مذهب كلامی قائل بنفی الأسماء، والصفات من الله تعالی.

www.SID.ir

Archive of SID

رنّانة مبتكرة. ولكنّه علىالعكس من بديع الزمان لا يهدف إلى الأغراض الاجتماعيّة.

٢ـ مقامات الحريرى (٤٤٦ ـ ٥١٦ق) وهو نار على عَلَم غنىّ عن التعريف، وبحق هو الخليفة الحقيقى لبديع الزمان الهمدانى فى هذا الفن.

٣ـ مقامات الزمخشرى (٤٦٧ ـ ٥٣٨ ق) طبعت هذه المجموعة مصحوبة بشرح المفردات اللغويّة فى المطبعة العبّاسيّة سنة ١٣١٢ق وجدير بالذكر أنّ شرح المفردات للمصنّف أيضا. أمّا سبب تدوين المقامات فهو أنّ الزمخشرى كان نائما فى صبح من الأصباح، إذ يسمع هاتفا يقول: «يا أبا القاسم! أجلٌ مكتوب، وأملٌ مكذوب.» ينتبه من نومه فجأة، ويكتب كلمات حِكميّة على نفس النّهج. وفى سنة ٥١٢ ق يبتلى بمرض مستعصٍ يعزم فيه أن يكفّ عن مدح السلطان، والحضور فى مجلسه، ويتزهّد بقيّة حياته. ولمّا شفى من مَرَضه أخذ فى كتابة مقاماته البالغة خمسين مقامة. وكما يبدو فإنّه قد تناول فيها التقوى، والأدب، والتصوّف، والزّهد. (نور عوض، ١٩٧٩م: ١٨٧)

٤ـ مقامات ابن الجوزى (٥١٠ ـ ٥٩٧ ق) وهى تمتاز بصبغتها الصوفية ـ العرفانيّة، وبرمزيّتها المكتسبة من حياة ابن الجوزى نفسه.

٥ ـ مقامات الحنفى الّتى اتبع فيها جانب الاعتدال، وهو ما أكّد على ذلک بنفسه فيها، إذ كان يقول: «إنّ الهمدانى قد اتخذ الإيجاز أسلوبا له فى كتابة مقاماته. كما أنّ الحريرى انتهج استخدام الغريب من المفردات فى مقاماته، وأنا اتّخذت أسلوب الاعتدال دون إفراط أو تفريط، لكنّنى لم أغفل عن الهزل.»

٦ ـ مقامات الشاب الظريف (٦٦٢ ـ ٦٨٧ ق) وقد تأثّر فيها بمن سبقوه من الأدباء، وهى تشتمل على معان صوفيّة، وروحيّة تأثّر فيها بأسلوب ابن الفارض المصرى، ومحى الدّين بن عربى.

٧ـ مقامات الصفدى: (٦٩٦ ـ ٧٦٤ ق) وقد تأثّر الكاتب ـ كما يصرّح بنفسه ـ بمقامات ابن العطّار الّتى ضاعت ـ للأسف ـ على مرّ الزمن. ولهذا السبب لا نعرف مدى تأثر الصفدى به. (المصدر السابق: ٢٠٥ ـ ٢١٠)

٨ ـ مقامات ابن الوردى (؟ ـ ٧٤٩ ق) وطبع هذا الكتاب، ولاميّة العرب معاً. وهو

www.SID.ir

Archive of SID

يتطرّق فی إحدی مقاماته إلی نقد متصوّفة عصره، ويقول: «هم يأكلون، ويشربون، ولا يهتمّون بآلام النّاس. يروون عن صلحاء السلف كلماتهم، ولا يخطون خطواتهم. ثيابهم كثيابهم، ولكنّ قلوبهم غير قلوبهم. لا يرون إلاّ الظواهر. يحبّون الجاهات، ويتبعون الشهوات، ولا يفكرون إلا فی اللّذات.»

۹ـ مقامات السيوطی (۹۱۱ ـ ۸۴۹ ق) هو من كبار علماء القرن العاشر الهجری، وتمتاز مقاماته بالحديث عن الزهور، والأوراد، والبساتين.

۱۰ـ مقامات الخفاجی (۹۷۹ ـ ۱۰۶۹ ق) وتمتاز بنقدها الاجتماعی.

۱۱ـ مقامات السويدی شهاب الدّين أحمد بن البركات، ويعود تأريخ تأليفها إلی عام ۱۱۷۹ق.

المقامات الفارسيّة

هناک دراسة فنية قيّمة قام بها كاتب مصریّ (فارس إبراهيمی حريری، مقامه نويسی فارسی، وتأثير مقامات عربی در آن، منشورات جامعة طهران ۱۳۴۶ش) نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة طهران فی قسم الدراسات الفارسيّة للأجانب، وقد تناول فيها مقامات الحميدی الفارسيّة، ولم يغفل فيها عن الحديث عن المقامات الفارسيّة الأخری. كما تناول مقامات الحريری بدراسة نقديّة أدبيّة مقارنة مع مقامات بديع الزمان الهمدانی، وكذلک الحريری. وكما تحدّث عن بعض الكتب الفارسيّة الّتی عدّها بمثابة مقامات فارسيّة. فعلی سبيل المثال تحدّث عن «گلستان سعدی»، وعدّه كتابا قلّد فيه سعدی المقامات العربيّة، وخاصّة قصته الأخيرة، والكبيرة الحجم، وهی قصّة: «جدال سعدی با مدّعی». إلاّ أنّ الكاتب عدّ الكتب الّتی حاكت، وقلّدت كتاب سعدی متأثّرة كذلک بالمقامات العربيّة. ومن تلک الكتب الّتی ذكرها: «بهارستان جامی» وحقّا أنّ الجامی قد قلّد كتاب «گلستان» أكثر ممّا أن يكون قد قلّد المقامات العربيّة أو الفارسيّة منها. إذ يقرّ هو بنفسه أنّه كتبه لابنه «ضياء الدّين» وقلّد فيه كتاب «گلستان».

ومنها: كتاب «روضة الخلد» لـ «مجد الخوافی»، وكتاب «تاريخ نگارستان» لـ

www.SID.ir

Archive of SID

«قاضی أحمد الغفاری» وكتاب القاآنی المعروف بـ «پريشان» وقد قلّد فيه القاآنی ـ كما هو صرّح بنفسه ـ كتاب «گلستان» وكتاب مقامات ميرزا جعفر رياض المتوفّى عام ١٣٣٦ق وكتاب «نمكدان» للحكيم صفاء الحق الهمدانی المتوفّى عام ١٣٤١ ق.

وبالطبع فإنّ الحديث عن المقامات الفارسيّة لا يتوقّف عند هذا الحدّ، ويحتاج إلى تنقيب، وبحث دائمين، ودؤوبين، وإلى دراسات فارسيّة مقارنة متعدّدة.

المقامات العربيّة الحديثة

ولا يفوتنا أن نتحدّث ـ ولو بإيجازٍ ـ عن كتابة المقامات فی العصر الحديث، وخاصّة فی بدايات عصر النّهضة. فنذكر على سبيل المثال مقامات «ناصيف اليازجی» الأديب اللّبنانی الّذی قلّد الحريریّ فی مقاماته. وهكذا مقامات «محمد المُوَيلحی» الّذی استخدم فيها القصّة سُلَّماً للنّقد الاجتماعی. وهكذا المقامات الفكريّة لـ «عبدالله فكری باشا» المولود عام ١٢٥٠ق ومقامات إبراهيم المويلحی الّذی أفاد من المقامة ليعبّر بها عن أفكاره السياسيّة.

وننهی هذه المقالة بالإشارة إلى مقامات «أحمد فارس الشدياق» (١٨٨٧ ـ ١٨٠٥م) والّتی تناول فيها التقاليد الاجتماعيّة، ونقدها نقداً لاذعا.

وهكذا يمكن أن يقال: إنّ المقامات ـ كفنّ أدبی نثری ـ توقفت عند هذا الحدّ، ولم تتجاوزه، وانتقلت نقلة كبيرة من القصص، والحكايات القصيرة المتّسمة بأسلوبها القديم، إلى قصص قصيرة، وروايات طويلة متأثرة بالآداب الأروبيّة، فاتخذت قالبا جديدا، واصطبغت بصبغة عصريّة، واتجهت وجهة أخرى.

النتيجة

ظهرت المقامات فی القرن الرابع للهجرة وازدهرت فی عصر الانحطاط. تشبه المقامات بالقصص القصيرة المسجوعة فی أغلب الأحيان، وتتضمن ملحا، ونوادر، وعظات؛ وكان الأدباء يتبارون فيها إظهارا لبراعتهم اللغوية، والأدبية. ويمتاز هذا الفن بأسلوب سردی

www.SID.ir

Archive of SID

حکائی خاص فی بیان غرضه، وخطابه، وأدبه.

ویمکن القول إنّ المقامات ـ کفنّ أدبی نثری ـ انتقلت فی العصر الحدیث نقلة کبیرة من القصص، والحکایات القصیرة المتّسمة بأسلوبها القدیم، إلی قصص قصیرة، وروایات طویلة متأثرة بالآداب الأروبیّة، فاتخذت قالبا جدیدا، واصطبغت بصبغة عصریّة، واتجهت وجهة أخری.

المصادر والمراجع

ابن أبی سُلمی، زهیر. ۱۹۹۵م. الدیوان. بیروت: دار الفکر.

ابن منظور، محمد بن مکرم. ۱۹۸۹م. لسان العرب. بیروت: دار صادر.

أفرام البستانی، فؤاد. ۱۹۸۶م. المجانی الحدیثة. بیروت: دار المشرق.

البعلبکی، منیر. ۱۹۹۷م. موسوعة المورد. بیروت: دار العلم للملایین.

بهار، ملک الشعرا. ۱۳۶۶ش. سبک شناسی. تهران: نشر دانش.

عبده، محمد. ۱۹۹۳م. شرح مقامات بدیع الزمان الهمدانی. بیروت: دار الفکر.

القلقشندی، شهاب الدین. لاتا. صبح الأعشی. المجلد الرابع عشر. بیروت: دارالکتب العلمیّة.

نور عوض، یوسف. ۱۹۷۹م. فن المقامات بین المشرق والمغرب. الطبعة الأولی. بیروت: دارالقلم.

الهمذانی، بدیع الزمان. ۱۹۸۷م. المقامات. مصر: دار النهضة العربیة.

یاغی، عبدالرحمن. ۱۹۶۹م. رأی فی المقامات. الطبعة الأولی. بیروت: دار الکتب العلمیة.

www.SID.ir